وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة الخامسة

الصد عن سبيل الله

عباد الله ما زلنا نتابع هذه السيرة العطرة، وهذا النور الوهاج الذي أفضى إلى ظلمات الجهل والوثنية، فانجابت كما ينجاب الغمام، وهدى من الله أرسله إلى الإنسانية، فانتشلها من ضيعة وانتشاها من هلاك، وأنقذها مما كانت تتخبط فيه من دياجير الظلام وعقابيل الضلال.

وها نحن عباد الله في الخطبة الخامسة عشرة بين نفحات العطر وومضات الإشراق من سيرة عظيم الأخلاق ﷺ، نتكلم عن جهاده ﷺ لإيصال هذا الدين الحنيف إلى مشارق الأرض ومغاربها، وفي هذه الخطبة إن شاء الله نتكلم عن هذه المحاور التي اتخذها الكافرون للصد عن الدين الحنيف، وما صنعه هذا النبي العظيم ﷺ للزود عن دين الله.

نعم عباد الله فإن الْمُطّلِع والعالم لطبيعة حياة النبي ﷺ ليجد صلابة المعدن الذي صُبِغَ منه بدنه صباغة أعجزت العمالقة، وأمكنت صاحبه من أن يحمل أعباء الحياة، ومشقة الجهاد، ولأواء العيش، وهو منتصب مقدام، فهيا بنا عباد الله ندخل في غمار هذه المقطوعة المباركة لننتقي باقة عطرة أخرى منها، تنمي الإيمان في قلوبنا، وتزكي الأخلاق في نفوسنا، وتلهب الكفاح في أعمالنا، وتغرينا باتباع ديننا.

فماذا يفعل الكفار المشركون ليطفئوا نور الله؟!!

إن المتدبر لما فعله أعداء الله ليجدهم اتخذوا محورين لإطفاء نور الله تعالى، هما:

المحور الأول: كثرة الإيذاء وتشديد البلاء على النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

المحور الثاني: مواجهة الدعوة الإسلامية بشتى الأساليب لصد الناس عنها وتنفيرهم منها.

وتصدى النبي ﷺ لكل هذا الكيد بأمر واحد، نعم واحد فقط، وهو: تربية الصحابة على العقيدة، وتعويدهم الصبر وعدم الانتصار للنفس، مع تبشيرهم بالنصر والتمكين.

فهكذا عباد الله وقف أعداء الله أبو جهل وأعوانه -لعنهم الله- في طريق الإسلام بهذه الطريقة، ولكن صمد المسلمون وصمد الإسلام أمام هذ الصد التي أرادوا به أن يطفئوا نور الله.

فماذا فعل الكافرون؟ وماذا فعل المسلمون؟

عباد الله، ألستم معي أن الليلة كالبارحة؟! فالأدوار واحدة، والأفكار متفقة، والأداء متشابه، والأعجب أننا نجد أن هذه الأشياء تتكرر على مر العصور! بيد أنه قد اختلف الأشخاص فقط عباد الله، فالطرق هي هي، والمحاولات نفس المحاولات، فدور أبي جهل وأعوانه يلعبه الآن الكافرون من كل جنس وملة، ودور الرسول ﷺ وصحابته يجب أن يكون فينا نحن الذين نريد أن تكون كلمة الله هي العليا ولو جعلنا جماجمنا سُلمًا لهذه الغاية، ودور المنافقين والمداهنين والذين لا خلاق لهم ولا دين يلعبه بعض المسلمين، ودور الذين هم عن الدين والإيمان لاهون وعابثون يلعبه الآن كثير من المسلمين، الله أكبر الله أكبر الله أكبر!!!

عباد الله العصور تتغير والحدث واحد لا يختلف إلا الأشخاص، فانظروا ماذا فعل المجرمون أعداء الدين في هذه الأيام، وعلى أي محاور يريدون أن يطفئوا نور الله، تجدهم على نفس هذه المحاور التي فعلها أبو جهل وأعوانه، ولننظر ماذا فعل رسول الله ﷺ:

المحور الأول: كثرة الإيذاء وتشديد البلاء على النبي ﷺ وأصحابه الكرام رضي الله عنهم:

فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى إِذَا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغَيِّرُ شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعَدَّ السَّابِعَ، فَلَمْ يَحْفَظْ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرْعَى فِي الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ"[1]؛ أي قُتلوا في غزوة بدر.

وكم أوذي رسول الله ﷺ! لقد سئل عمرو بن العاص رضي الله عنه عن أشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ، فقال: **"بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فِي حِجْرِ الْكَعْبَةِ، إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ، فَخَنَقَهُ خَنْقًا شَدِيدًا، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى أَخَذَ بِمَنْكِبِهِ وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ"**[2].

وإذا كان الإيذاءات والاعتداءات قد طالت رسول الله ﷺ مع أن له من الجلال، والوقار، والمنعة؛ لأن أبا طالب عمه، الذي كان يدافع عنه، فما بالكم بالصحابة رضي الله عنهم، فقد سامتهم قريش سوء العذاب، فأخذهم المشركون وألبسوهم الدروع الحديدية، وصهروهم في الشمس، وشددوا عليهم العذاب، حتى قال ابن مسعود رضي الله عنه لما رأى أخاه بلال بن رباح رضي الله عنه يعذب: **"فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ"**[3]، ولكن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفعلون ذلك في سبيل الله ويرون أن هذا هو غاية هدفهم،

هذه مصارع عشقهم قربانهم لله دم ... عشقوا العقيدة أرخصوا روحا ونفسا لم تضم

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٢٤٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٩٤).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٥٦).

[3] أخرجه ابن ماجه رحم الله في سننه (١٥٠)، حسنه الألباني رحمه الله في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه رحمه الله (١٥٠).

حتى إن خباب بن الأرت رضي الله عنه ذهب إلى رسول الله ﷺ يطلب منه أن يدعو للمسلمين، فقال: **"يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَا تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ الْمِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ"**[1].

والمحور الثاني: مواجهة الدعوة الإسلامية ومبادئها بالاستخفاف بوضع الكتب الفاسدة، والمقالات الكافرة، والأفلام الخليعة السافرة، وشراء الذمم، وما إلى ذلك ليصدوا عن سبيل الله بدعايات ساقطة ومناظر واهية.

وهو الداء العضال في كل العصور، وكم نجح أعداء الدين في استعمال هذا المحور في شراء الذمم، وكل ذمة لها سعر يسعره صاحب الذمة أو يسعره المشتري، نعم عباد الله فإنه قد ظهرت طوائف على مر العصور تريد تمييع الدين، وتأتي على أحكامه بطريقة أكثر دبلوماسية، بطريقة تحضرية!! غايتهم المال، وأسلوبهم المداهنة والملاطفة، وأقوالهم الحق الذي يراد بها باطل، شعارهم الدين ليس بالصلاة ولا الزكاة، الدين خذ في خفة وهات.

فهيا بنا ننظر لهذا المحور مع الرسول الكريم ﷺ: أرسلت قريش عتبة ابن ربيعة إلى النبي ﷺ ليعرض عليه بنود الاتفاق، فقال: **"إن كنت إنما تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ**، (بصراحة، يقول

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٥٢).

له: خذ مالًا وضع دينك تحت قدميك ولكن بطريقة تحضرية؛ أي: بأسلوب العصر)، **فلما فرغ من قوله تلا رسول الله عليه الصلاة والسلام صدر سورة فصلت: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾**"[1].

وهنا لنا وقفة، وحُقَّ لنا أن نقف

أولًا: عباد الله، كان من الممكن ألا يأمر الله رسوله بإنذار عشيرته الأقربين وذوى قرابته الخاصة اكتفاءً بعموم أمره الآخر، وهو قوله تعالى: ﴿ **فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ** ﴾[الحجر: ٩٤]، فما الحكمة في خصوصية الأمر بإنذار العشيرة الأقربين؟ أي لِمَ قال تعالى؟ ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ** ﴾[الشعراء: ٢١٤]؟ ولتوضيح ذلك نبين ما يأتي:

إن أقصى درجة في المسؤولية: هي مسؤولية الشخص عن نفسه، ومن أجل إعطاء هذه الدرجة حقها استمرت فترة ابتداء الوحي تلك المدة الطويلة التي رأيناها ريثما يطمئن محمد ﷺ إلى أنه نبي مرسل، وأن ما يترل عليه هو الوحي، فيؤمن هو نفسُه أولًا، ويوطن ذاته لقبول كل ما سيتلقاه من مبادئ وأحكام الله جل وعلا.

أما الدرجة الثانية في المسؤولية: هي مسؤولية المسلم عن أهله ومن يلوذون به، وتوجيهًا لذلك خصص الله الأهل والأقارب بضرورة الإنذار والتبليغ.

أما الدرجة الثالثة في المسؤولية: فهي مسؤولية لمن بعد ذلك من أهل الحي، أو البلد، وما إلى ذلك، فانظروا -عباد الله، رحمني الله وإياكم- إلى قدر مسؤولية الرحم التي اهتم بها الشرع الحنيف، حتى إن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ **فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا**

[1] أخرجه ابن إسحاق رحمه الله في المغازي (١/١٩٧)، حسنه الألباني رحمه الله في فقه السيرة للغزالي رحمه الله (١٠٧).

﴿ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢ - ٢٣]، لقد جعل الله ﷻ عقوبة قاطع الرحم في الدنيا بالصمم عن سماع المواعظ والعمى عن إدراك الحقائق، أما في الآخرة فكانت العقوبة قاسية، وهي: اللعنة، وبَيَّنَ ذلك رسول الله ﷺ قائلا: "**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ**"[١].

أيها الإخوة عباد الله كما قلت لحضراتكم علينا بفقه السيرة، وعليك إذا علمت شيئا أن تطبقه، فاكتبه عندك، واكتب ما استفدته من هذه السيرة العطرة وفقهها حتى تستطيع أن تطبق، فانظر إلى رحمك: أبيك، أمك، أخيك، أختك، عمك، خالك، عمتك، خالتك، أولاد أعمامك، ...، وصِلْ، وبِرّ، وافعل الخير، واعلم أنه لا يدخل الجنة قاطع.

ثانيًا: عباد الله فالله ﷻ اقتضت حكمته أنه لا بد أن يمتحن النفوس ويبتليها، فيظهر بالامتحان طيبها من خبثها، ومن يصلح لموالاة الله أكرمه، ومن لا يصلح لها أهانه، وليمحص النفوس التي تصلح ويخلصها بكير الامتحان كالذهب، إذ النفس في الأصل جاهلة ظالمة، وقد بين ذلك الله ﷻ: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢]، وحصل للنفس هذا الظلم وهذا الجهل فأصبح كالخبث، فإما أن يخرج هذا الخبث في الدنيا عن طريق السبك والتصفية، وإلا ففي كير جهنم، فإن هُذِّبَ العبد في هذه الدنيا أصبح أهلا للجنة، يقول الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢]، ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ ﴾[البقرة: ٢١٤].

[١] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٥٩٨٤)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه، واللفظ له (٢٥٥٦).

ثالثًا: قد يصل المسلم في الضلال حتى يصبح سلوكه أسوأ من الكفار، فانظر إلى كفار قريش، كانوا يخافون من الدعاء في المسجد الحرام، ونحن لا نبالي في بعض الأحيان، وكانوا لا يكذبون ويعتبرون الكذب ضعف، وما إلى ذلك، أقول عباد الله، التمادي في المعاصي قد يفقد الإنسان آدميته.

رابعا: عرضوا عليه الرشوة؟ نعم الرشوة، هذه المعاملة الملعون فاعلها وآخذها، هذه المعاملة التي لا يأتي منها خير، هذا الداء الذي ينحت في عظم الأمة حتى يسقط كيانها، هذا الداء الذي استفحل في الأمة بسبب سكوت المسلمين، فما عرض على الرسول ﷺ، وما يعرض على موظف أو يأخذه رشوة، فمن يرتشي في القدر اليسير؛ يسلط الله عليه من يأخذ حقه ممن فوقه ويرتشي في القدر الكبير، يقول ﷺ: **"لَعَنَ اللَّهُ الرَّاشِيَ، وَالْمُرْتَشِيَ، وَالرَّائِشَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمَا"**[1]، والرائش: هو الوسيط بين الراشي والمرتشي، وهؤلاء الثلاثة من أخطر الأصناف على الأمة، والعجيب أن هذا الملعون من الله على لسان رسول ﷺ يحاول أن يضع رأسه في الرمل، ولكن جسمه ظاهر، ظاهره فيه الرحمة، وباطنه فيه العذاب لإخوانه، ظاهره فيه الرحمة، يمسك بسبحة، ويذهب للحج والعمرة، ويزور مسجد الرسول ﷺ، ويصلى في الجماعة، ولكن باطنه فيه العذاب، عندما يجد الفريسة يقتنصها، لا يرحم صغيرًا، ولا كبيرًا شيخًا، ولا شابًا رجلًا أو امرأة، هو لا تهمه إلا نفسه، ونفسه فقط، ثم أي صلاة! وأي سبحة! وأي حج! أتسبح إلها يلعنك؟! وتحج لبيت صاحبه غاضب عليك صباحا ومساء؟! وتزور رسولا هو بريء منك ومن أعمالك؟! وتصلي في جماعة أنت تقتلها وتذيقها الأَمَرَّيْن؟! فكما تَزهَق الأرواح تزهق الأخلاق، وكما تُقتَل الأنفس تُقتَل الرحمة، فصلوا الإسلام بعضه عن بعض، وقننوا قوانين الهوى والضلال، وسموا الأشياء بغير مسمياتها (هدية، عمولة،

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك (٧٠٦٨)، وصححه السيوطي رحمه الله في الجامع الصغير (٧٢٥٥).

الشاي، بركة، نأكل عيش، الدنيا مصالح خليها على الله، مشي حالك) أساليب نمت كالحشرات القاتلة مع المعاصي تسبب زيادة غضب الله، وسكتوا جميعا اتباعا لهواهم ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾، أيها المرتشي، أما خشيت الله مرة في إنسان لا يجد ما يعطيك؟! أما ذكرت الله مرة وأنت تضع السم في بطون أولادك؟! أما عرفت الله مرة في امرأة قدمت أن تملأ بطنك وتترك بطون أولادها فارغة؟! أما اتقيت الله مرة في شيخ أعطاك ولم يجد الدواء لنفسه؟! أنت على الحقيقة كالقابض للأرواح، ولما قال جابي الزكاة لرسول الله ﷺ: "**هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا**"[1].

خامسا: لطف الله تعالى بعبده ﷺ، أدركت قريش أن ما تصبوا إليه بعيد المنال، فعادت سيرتها الأولى تصب جام غضبها على المؤمنين، وتبذل آخر ما في وسعها للتنكيل بهم، وتحاول فتنتهم عن دينهم، وحزن الرسول ﷺ لهذا الصد وهذا الكفر، فواساه ربه وأبان له بواطن أولئك المكذبين، فقال له: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[الأنعام: ٣٣]، أتدرون ما معنى هذه المواساة؟ سوف أضرب لحضراتكم مثالا يبين لكم المعنى: إن المعتوه إذا اعترض طريقك ووقع في عرضك بلسان حاد، سمعت من يقول لك: هذا لا يقصد العدوان عليك، لكنه يستجيب لنوازع الجنون في دمه، ولدواعي العته في نفسه، كذلك أولئك المشركون يستجيبون لدواعي الجحود في طبائعهم، قبل أن تكون انتقاصا للرجل الذي يحدثهم، فمن كان في قلبه النفاق، والدنيا، والجحود؛ يستجب لهذه الدواعي ولو كان عارفًا للحقيقة، أما ترون قوله ﷻ ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ ﴾ [النمل: ١٤]، إن هؤلاء الكافرين

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٦٩٧٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٨٣٢).

لا خير فيهم، إذ كيف يكون فيهم خير وقد دعوا الله دعوة عجيبة ﴿ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، والمفروض أن يقولوا: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه.

سادسا: التربية التربية

كان بإمكان الرسول ﷺ أن يأخذ أبا بكر، وعمر، والصحابة رضي الله عنهم في مظاهرة عارمة في سوق عكاظ أو عند الحج عندما يجتمع الكفار ويهتفون بكلام في كلام في الهواء ثم يرجعون وكأن شيئا لم يكن، لا لم يفعل ذلك مع أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا تحت إشارته، كان بإمكانه ﷺ أن يبحث عن الزعامة والرياسة، ويقول: لو ملكت هؤلاء القوم لسوف يدخلون في دين الله، لا لم يفعل ذلك مع العلم أنهم عرضوا عليه أن يملكهم، ولكنه يعلم جيدا أن الله يقول: ﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [القلم: ٩]، يعلم جيدا أن ذلك سوف يكون على حساب الدين والتوحيد، ثم من هم؟ قوم ما زالوا مشركين، كان بإمكانه (وهو معه عمر وحمزة) أن يخربوا ديار الكافرين، ويحطموا الأوثان، ويأتوا على دار أبي لهب -لعنه الله- فيحرقوها وعلى دار أبي سفيان ويهدموها، ولكن لم يفعل ذلك أبدًا ﷺ، وقد كان عمر هو سيف رسول الله ﷺ يغمده حين يريد ويطلقه حين يريد، وكان بإمكانه ﷺ أن يجمع الصحابة في دار الأرقم رضي الله عنه ويحضرون العشاء ثم يشتمون ويلعنون إدارة أبي جهل للحكم، وأسلوب أبي سفيان في التجارة، ويسبون ويلعنون حتى ينتهي العشاء ثم ينامون.

فعذرًا أيها الذين ترون أن الحل بمثل هذا، عذرًا فلن نجد في السيرة أقوالكم، ولكن وجدنا أن الرسول ﷺ رَبَّى، وعلَّم، وقوَّى العقيدة، وحثهم على الصيام والقيام، حتى أصبح

أبو بكر أبا بكر، وأبو حفص أبا حفص، وعثمان عثمانَ وعلي عليًا ﷺ، حتى أصبح الصحابة ﷺ أعوادا صلبة فرسانًا بالليل رهبانًا بالنهار، حتى أصبحوا رهن إشارة دين الله تعالى.

وجدنا أثر هذه التربية بعد موت الرسول ﷺ، فلما منع العرب الزكاة فإذا بأبي بكر يقول:

(**إِنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ، أَيَنْقُصُ وَأَنا حَيّ؟**)[1]؛ لأنه أخذ قسطًا وافرًا من التربية.

فلما اشتد عودهم، وقويت عزيمتهم، ونضج فكرهم، وكمل دينهم، وصَفَتْ قلوبهم، وعرفوا دين الله وما يريده الله؛ انطلَقوا، فوجدنا دين الله ينتشر في الأرض وعمر ﷺ ما زالت ثيابه مرقعة؛ لأنه أخذ قسطًا وافرًا من التربية.

وجدنا الحضارات الأخرى والمستعمرين عندما يملكون ويفتحون البلدان تنتقل ثروات هذه

البلدان إلى مقر الحكم والقوة، ولكن لم نجد ذلك في الحضارة الإسلامية، فالأموال لها قاعدة أرساها المصطفى ﷺ ورباهم عليها وأحسن التربية، أتدرون ما هذه القاعدة أحبة النبي ﷺ؟

هذا المال يؤخذ من أغنيائهم ويرد على فقرائهم، أي لا شيء غير ذلك

ولهذا وجدنا أن المدينة مقر الحكم لم تصبح قصورًا وأنهارًا، إنهم كانوا يُضَحُّون لله وفي الله، إنهم كانوا يريدون جنة خالدة لا دنيا فانية، إنهم كانوا يبحثون عن مرضاة الله لا عن قصور وضياع.

إن هدفهم لا ارتفاع رصيدهم في البنوك، وإنما ارتفاع رصيدهم عند الله

[1] موقع الدرر السنية: "قال الحافظ في تخريج مشكاة المصابيح: وصله البيهقي، رحمهما الله".

نعم عباد الله، التربية، التربية، التربية

رَبِّ ابنك، وابنتك، وزوجك على حب الله، وعلى حب القرآن، وعلى حب الرسول ﷺ، وعلى حب الدين الإسلامي، فإن أحببنا ذلك سوف نقول لأنفسنا: ماذا يريد الله الذي نحبه؟ والقرآن الذي نتلوه وهو كلام الله تعالى؟ والرسول ﷺ بماذا يأمرنا؟ ماذا يريد الشرع الحنيف؟ فنتعلم ونعلم، فنتغير وننصر الله، فإن تغيرنا؛ فقد قال ربنا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وإن نصرنا الله؛ فقد قال الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٧].

أيها الإخوة المسلمون، إن كثيرًا من هؤلاء المجرمين، أو الفاسقين، أو الذين لا خلاق لهم ولا دين إما متعصبون تحجرت قلوبهم وعقولهم، فتزين لهم سطوتهم البطش بمن خالفهم، أو مترفون سرتهم ثروتهم ويحبون الباطل؛ لأنهم على أرائك وثيرة، ويكرهون الحق؛ لأنه عاطل عن الحلي والمتاع، أو متعنتون يحسبون هداية الرحمن عبث صبية أو أزياء لها وقتها، يقولون دع هذا وهات هذا، ولكن لم يستطيعوا أن يقفوا أمام محمد ﷺ وأصاحبه رضي الله عنهم، فهم كالطحالب العائمة كيف توقف السفن الماخرة؟ إن الدعوة التي بدأ بها محمد ﷺ أزاحت الغشاوة عن الأعين فأبصرت، ومسحت الران عن القلوب فأيقنت، ونَقَّت الدخن الذي في العقول ففكرت، فكيف تقف أمامهم الطحالب العائمة؟! إن محمدا ﷺ لم يعدهم بغنيمة ولا دنيا، ولكن خَيَّرهم بين نعيم دائم ووهم عائم، فاختاروا النعيم الدائم، خَيَّرهم بين صنم حقير وإله قدير، فاختاروا العظيم القدير فكيف تقف أمامهم الطحالب العائمة؟

إن محمدًا ﷺ وقف أمام هذه المحاور كلها بالصبر والثبات، ورَبَّى الصحابة رضي الله عنهم على القيام، والصيام، والرحمة، والشفقة، والصبر، ونصر الله، والعزة، والكرامة، والجهاد حتى الممات، فكيف تقف أمامهم الطحالب العائمة؟!

اللهم صلِّ وزد وبارك على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

اللهم صل على محمد بعدد كل من اتخذ من زمزم سقاء

وصل على محمد ما جعل الله في زمزم الشفاء

وصل على محمد بعدد كل من صلى في مسجد قباء

وصل على محمد بكل تلبية سمعت في الأرض والسماء

وصل على محمد كلما اتخذ عبد من العمرة فداء

وصل على محمد بعدد كل طوفة أو سعي صبحا كان أو في المساء